الترجمة إلى العربية ومن العربية
وأثرها في نهضة العلوم والمعارف

Translation from Arabic t- Arabic

And its impact on the advancement of science and knowledge

د. هيفاء منصور مبارك العجمي

دكتوراه في العقيدة والفلسفة الإسلامية من كلية دار العلوم-جامعة القاهرة،
ومعلمة لمادة العقيدة في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت

Dr. Haifa Mansour Mubarak Al-Ajmi

PhD in Islamic Belief and Philosophy from the Faculty of
Dar Al-Ulum - Cair- University
And a teacher of the subject of faith in the Ministry of Endowments
and Islamic Affairs in the State of Kuwait

Abstract:

This research deals with the movement of translation int- Arabic and from Arabic and its impact on the renaissance of science and knowledge, as translation greatly influenced the transmission of science between civilizations and nations in all fields, including the philosophical and doctrinal fields.

The research explains the meaning of translation, its types, and its provision. Then it deals with the tw- movements of translation int- Arabic and from Arabic by explaining its beginnings and the most important topics that it included, mentioning the most prominent translation centers and its most important effects. Then, it shows the most prominent similarities and differences between the tw- movements.

The research includes: an introduction, four themes, a conclusion containing the most prominent results and recommendations, and then an index of research references.

Keywords: translation - Arabic - renaissance - sciences

الملخص

يتناول هذا البحث حركة الترجمة إلى العربية ومن العربية وأثرها في نهضة العلوم والمعارف، حيث أثرت الترجمة بشكل كبير في انتقال العلوم بين الحضارات والأمم في كافة المجالات، ومنها المجال الفلسفي والعقدي.

يوضح البحث معنى الترجمة وأنواعها وحكمها، ثم يتناول حركتي الترجمة إلى العربية ومن العربية من خلال بيان بداياتها وأهم الموضوعات التي تضمنتها، مع ذكر أبرز مراكز الترجمة، وأهم آثارها، ثم يبين أبرز أوجه التشابه والاختلاف بين الحركتين.

يتضمن البحث: مقدمة وأربعة مطالب وخاتمة فيها أبرز النتائج والتوصيات ثم فهرسًا لمراجع البحث.

الكلمات المفتاحية: الترجمة- العربية- نهضة- العلوم.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد؛

فإن حكمة الله البالغة قد اقتضت أن يجعل البشر متمايزين مختلفين، تتنوع ألسنتهم وحضاراتهم وثقافاتهم، ثم تلتقي هذه الحضارات وتندمج الثقافات كلما تقاربت بلدانهم وتشابهت أغراضهم، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} [الحجرات:١٣]، فالتعارف بين الشعوب والحضارات نتيجة حتمية ما داموا يتشاركون العيش على هذه الأرض، ويسهمون في تطور الحياة فيها.

ومن أهم وسائل التعارف بين الشعوب: تعلم لغة الآخر والنقل والترجمة؛ لما يُستفاد بها من معرفة العلوم والمعارف المتنوعة، فاللغة «مرآة الفكر وأداته، وثمرة العقل ونتاجه، ثم هي معرض الثقافة الإنسانية وحضارتها، ووسيلة للتواصل البشري يعبر بها الإنسان عما يختلج في صدره من أفكار ومشاعر»(١).

ولمّا كان الدين الإسلامي دينًا عالميًا يدعو إلى العلم ويشجع المعرفة البناءة، كان ذلك رافدًا قويًا من روافد بدء حركة الترجمة عند المسلمين منذ العقود الأولى للإسلام، فانتشرت مراكز الترجمة ونقل علوم الأمم الأخرى، وبُذلت الأموال، وجُنّدت الكفاءات في سبيل الاستفادة القصوى من ذخائر العلم وخزائن المعرفة، فنشطت بذلك الحركة العلمية والفكرية في الدولة الإسلامية، وتعرَّف المسلمون على أبواب من العلم لم تكن مطروقة عندهم من قبل، كعلوم الفلك والرياضيات والكيمياء وغيرها.

- سبب اختيار الموضوع:

يعد علم الفلسفة من العلوم التي أسهمت حركة الترجمة في معرفة المسلمين له واطلاعهم عليه، فقد كانت ترجمة كتب الإغريق واليونان سببًا رئيسيًا في نشأة هذا العلم لدى المسلمين.

(١) خصائص اللغة العربية ومميزاتها، د. فردوس نذير بت، مقال منشور في مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند، العدد ١٢، السنة ٣٧، ذو الحجة ١٤٣٤هـ-نوفمبر ٢٠١٣م.

ولأجل العلاقة الوثيقة بين حركة الترجمة وعلم الفلسفة الإسلامية كان من الضروري التعرف على أصل الترجمة ومراحل تطورها وأهم آثارها، خاصة في وقتنا الحالي الذي أصبحت العلوم فيه مشاعة بين الحضارات والترجمة بين اللغات أكثر انتشارًا.

- **أهداف البحث:**

١- التعرف على معنى الترجمة وأنواعها وحكمها في الدين الإسلامي.

٢- الاطلاع على بدايات حركة الترجمة وأهم مراكزها وشخصياتها.

٣- تأمل آثار حركة الترجمة على تطور العلوم.

٤- تحديد وجوه التشابه والاختلاف بين الترجمة إلى العربية والترجمة من العربية إلى غيرها من اللغات.

- **خطة البحث:**

تتكون خطة هذا البحث من: مقدمة وأربعة مطالب وخاتمة وفهارس، ويأتي تفصيلها على النحو الآتي:

- **المقدمة:** وفيها إشارة إلى أهمية الموضوع وسبب اختياره.

- **المطلب الأول: نظرةٌ عامةٌ على الترجمة**، ويتضمن المسائل الآتية:

المسألة الأولى: تعريف الترجمة: لغةً واصطلاحًا.

المسألة الثانية: أنواع الترجمة.

المسألة الثالثة: حكم الترجمة.

- **المطلب الثاني: الترجمة إلى العربية**، ويتضمن المسائل الآتية:

المسألة الأولى: بداية حركة الترجمة إلى العربية والموضوعات التي تضمنتها.

المسألة الثانية: أهم مراكز الترجمة وأبرز المترجمين.

المسألة الثالثة: آثار الترجمة إلى العربية.

- **المطلب الثالث: الترجمة من العربية**، ويتضمن المسائل الآتية:

المسألة الأولى: بداية حركة الترجمة من العربية والموضوعات التي تضمنتها.

المسألة الثانية: أهم مراكز الترجمة وأبرز المترجمين.

المسألة الثالثة: آثار الترجمة من العربية.

- **المطلب الرابع: أبرز أوجه التشابه والاختلاف بين الترجمتين،** ويتضمن مسألتين:

المسألة الأولى: أبرز أوجه التشابه بين الترجمتين.

المسألة الثانية: أبرز أوجه الاختلاف بين الترجمتين.

- **الخاتمة:** وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

- **فهرس المراجع**.

هذا وبالله التوفيق وعليه التكلان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

- المطلب الأول: نظرةٌ عامةٌ على الترجمة

ويتضمن المسائل الآتية:

- المسألة الأولى: تعريف الترجمة: لغةً واصطلاحًا

أولًا: الترجمة لغةً:

للترجمة في اللغة عدة معانٍ هي:

١- تبليغ الكلام لمن لم يبلغه أو يصله، كقول الشاعر:

إن الثمانين وبلِّغتُها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

٢- تفسير الكلام بنفس لغته وبيانه وإيضاحه، ومن ذلك لُقِّب عبدالله بن عباس رضي الله عنهما بترجمان القرآن.

٣- نقل الكلام أو تفسيره بلغةٍ غير لغته.

ولأجل هذه المعاني التي تجمع البيان والتوضيح جاز إطلاق لفظ الترجمة على التعريف، فيقال: ترجمة فلان يعني سيرته وحياته، ويقال: ترجمة الباب أي عنوانه الدال على موضوعه وهكذا[١].

ثانيًا: الترجمة اصطلاحًا:

لقد اقتصر المعنى الاصطلاحي للترجمة على أحد المعاني اللغوية دون غيره، فأصبحت الترجمة تعني: «التعبير عن معنى كلام في لغة بكلام آخر من لغة أخرى مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده»[٢].

- المسألة الثانية: أنواع الترجمة

تنقسم الترجمة إلى نوعين: الترجمة الحرفية، والترجمة المعنوية.

وتعني الترجمة الحرفية التزام النقل من الأصل المترجم منه كلمة بكلمة، أما المعنوية فهي تعني التعبير عن الفكرة الأصلية بفكرة أخرى تفي بجميع مقاصدها.

ولا شك أن عيوب الترجمة الحرفية واضحة جدًا، فإن تنوع اللغات والاختلافات بينها في المعاني وترتيب الجمل وتقابل المفردات؛ يجعل الترجمة الحرفية مشوهة للنص الأصلي ولا تعبر

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (١٦٢/٥)؛ وتاج العروس، الزبيدي، (٣٢٧/٣١)؛ والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (٨٣/١).

(٢) الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو، ص(٢٥٨).

تعبيرًا حقيقيًا عنه، لذلك كان من الضروري أن يستوعب المترجِم النص الذي يريد ترجمته، ويفهم مراد كاتبه منه، ثم يتمكن من نقله إلى اللغة المترجَم إليها مع احترام ما تحمله كل جملة من مظاهر جمالية مرتبطة بالكلمات أو الأفكار(١).

- المسألة الثالثة: حكم الترجمة

ثبت في السنة عن الصحابي زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: [أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود قال: «إني والله ما آمن يهود على كتابٍ» قال: فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم](٢).

وفي الحديث دليل على جواز تعلم اللغات الأخرى، وأن ذلك من جملة المباحات، وقد يُعد من اللغو ومما لا يعني، ويذمه بعض أرباب الكمال إلا إذا ترتب عليه فائدة، فحينئذٍ يستحب، كما يستفاد من الحديث(٣).

وعليه فيكون حكم الترجمة كالآتي:

١- الإباحة من حيث الأصل.

٢- الندب إذا ترتب عليها فائدة، وقد يصل الأمر إلى الوجوب بحسب ما يترتب عليها من فائدة وكفاية القائمين عليها، ومثال ذلك: من رزقه الله علمًا وفهمًا وأوتي مهارة في الترجمة فيجب عليه الدفاع عن الدين ورد شبه الكافرين بحسب ما يتيسر له.

٣- المنع إذا ترتب عليها ضرر، كترجمة كتب الملحدين ومثيري الشبه، لا بقصد الرد والذب عن دين الله بل بقصد إشاعتها بين المسلمين مثلًا.

وعلى كل حال فالترجمة نشاط انساني ينتابه الصواب والخطأ، ودين الإسلام قد جاء حاكمًا على تصرفات البشر وموجهًا لها، فلا بد إذًا من التبصر قبل الإقدام على الترجمة، والرد إلى أهل العلم، لبيان حكم كل حالة بعينها، والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: الترجمة، ميخائيل أوستينوف، ترجمة معهد الملك عبدالله للترجمة والتعريب، ص(٣٧-٣٩).

(٢) رواه الترمذي في سننه، [كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في تعليم السريانية، (٤/٤٣٩)، رقم الحديث (٢٧١٥)].

(٣) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، (٧/٥٣٠).

- المطلب الثاني: الترجمة إلى العربية

ويتضمن المسائل الآتية:

- المسألة الأولى: بداية حركة الترجمة إلى العربية والموضوعات التي تضمنتها

هناك مجموعة متعددة من العوامل والأسباب التي دعت المسلمين إلى بداية الترجمة من الثقافات الأخرى إلى اللغة العربية، من أبرزها ما يأتي:

١- ما ورد في القرآن الكريم من آيات تحث على التفكر وتدعو للعلم والتعلم، مما بث في نفوس المسلمين الرغبة في الإفادة من علوم غيرهم من الأمم المحيطة بهم.

٢- نظام العلاقة المستمرة في الإسلام بين العبد وربه، مما يتطلب التعرف على علوم تعين على تنظيم شؤون العبادة والمعاملات المالية والاجتماعية وضبط الحسابات وتحديد المواقيت وما شابهها، مما حدا بالمسلمين إلى الاستعانة بالأمم المجاورة للتعرف إلى ما يعين على ذلك كله.

٣- رغبة المسلمين في أن يقترن المجد العسكري والسياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي وصلوا له بعد امتداد رقعة الدولة الإسلامية، بالمجد العلمي والنضج العقلي مما شجعهم على ترجمة علوم الأمم الأخرى من حولهم.

٤- الجدال الديني الذي نشأ نتيجة احتكاك المسلمين بأتباع الديانات الأخرى، والذي ألجأ علماء الكلام من المسلمين إلى التعرف على النظريات اليونانية لكي يسهل عليهم الدفاع عن عقيدتهم أمام المخالفين.

٥- الحاجة إلى تصنيف العلوم وتنظيمها بعد أن أخذ التفكير الإسلامي يتوجه إلى التطور والتوثيق.

٦- دعم الخلفاء والولاة والوجهاء لحركة الترجمة، سواء بالمال أو توفير الجو العلمي والمناشط الفكرية التي تشجع حركة الترجمة وتدفعها قدمًا.

٧- اتساع رقعة الإسلامية ونشاط حركة الفتوحات مما ساهم في التعارف بين المسلمين وغيرهم من الشعوب، ودخول غير المسلمين في حماية الدولة الإسلامية، حاملين معهم ثقافاتهم ومعارفهم. إلى غير ذلك من العوامل والأسباب[١].

---

(١) انظر: النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، علي بن إبراهيم النملة، ص (٥٣-٧٠).

كل ذلك أدى إلى بداية حركة الترجمة ونشاطها في نقل العلوم إلى العربية، في تدرج زمني رأى بعض الباحثين أنه يمتد إلى عصر النبوة حين أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت رضي الله عنه بتعلم لغة اليهود، وما كان من مراسلات النبي ﷺ للملوك، ثم كان عهد الخلفاء الراشدين وما بعده لا يخلو من معرفة لغات الأمم المحيطة معرفة تنشأ عن الاحتكاك بهم في المكاتبات والتجارة والفتوحات، كل ذلك يمكن أن يشير إلى محاولات متفرقة لا يمكن أن يطلق عليها نشاطًا منظمًا للترجمة حتى جاء عهد خالد بن يزيد بن معاوية حكيم آل مروان، والذي بدأ فيه الترجمة بشكل جديّ لكنه فردي، لتتوسع الترجمة بعد ذلك على يد العباسيين ويبلغ الاهتمام بها أقصاه، حتى إنه يمكن تقسيم نشاط الترجمة في عهد العباسيين إلى ثلاثة أدوار:

الدور الأول: من خلافة أبي جعفر المنصور وحتى خلافة هارون الرشيد (١٣٦هـ- ١٩٣هـ)، حين أنشأ أبو جعفر المنصور مدينة بغداد، ونشط بعدها يحيى بن خالد البرمكي أثناء خلافة هارون الرشيد في استجلاب كتب اليونان كما جاء في بعض الروايات.

الدور الثاني: خلافة المأمون وما بعدها (١٩٨هـ-٣٠٠هـ) حيث بلغت الترجمة أوج مراحلها على يد المأمون الذي أنشأ معهدًا للترجمة سماه: بيت الحكمة، وازدهرت حركة الترجمة ازدهارًا بالغًا، وتُرجمت أهم كتب اليونان في كل فن وعلم، فكان هذا العصر بحق عصرًا ذهبيًا للترجمة.

الدور الثالث: ما بعد هذين الدورين حتى قرابة عام (٦٠٠هـ) حيث فترت همم المترجمين قليلًا، وصار أمر الترجمة متذبذبًا بين ازدهار وانحسار، وبدأت حركة التفسيرات والشروح والتعقبات للكتب المترجمة تزاحم حركة الترجمة نفسها[١].

وقد تنوعت موضوعات العلوم المترجمة إلى العربية، خاصة في زمن الدولة العباسية، وكان من أبرزها وأكثرها تأثيرًا في الساحة العلمية الإسلامية:

١- علم الفلسفة: وقد لعلماء المسلمين أثر كبير في هذا العلم، لأنهم وإن اتخذوا فلسفة اليونان أساسًا لعلم الفلسفة الإسلامية إلا أنهم لم يتفقوا معها كليةً، بل خالفوها في مواضع كثيرة، وعدلوا وأضافوا على مواضع أخرى، مما يدل على التطور العلمي والفكري للمسلمين في تلك المرحلة.

٢- العلوم الرياضية: كعلوم الحساب والهندسة.

٣- علوم الهيئة والنجوم: والمراد بها العلوم التي تبحث في حركة الأجرام السماوية وما ينتج عن تغير أوضاعها من تغير التوقيت والزمان.

(١) انظر: الإسلام والمذاهب الفلسفية المعاصرة، مصطفى حلمي، ص(٩٧-٩٨)، والفلسفة الإسلامية-عرض ونقد-، محمود مزروعة، ص(١٥-١٦).

٤- علم الجغرافيا: ويهتم بوصف طبيعة الأرض ومعرفة البلدان والأمصار، وكان من أهم بواعث اهتمام المسلمين بهذا العلم ما منَّ الله تعالى به عليهم من الفتوحات التي امتدت بها رقعة الدولة الإسلامية وتباعدت أقاليمها.

٥- علم الطب: وقد ازدهر هذا العلم عند المسلمين ازدهارًا عظيمًا وذلك بفضل جهود الخلفاء في النهوض بهذا العلم(١).

- المسألة الثانية: أهم مراكز الترجمة وأبرز المترجمين

لابد قبل الحديث عن أهم مراكز الترجمة وأبرز المترجمين إلى العربية أن نشير إلى دور السريانيين الكبير في حركة الترجمة، فلقد «كان السريان هم حلقة الاتصال بين العلم الإغريقي والإسلام، لذلك ليس غريبًا أن يكون لهم دور كبير في تغذية الحضارة الإسلامية بكل ما كان من شأنه أن يكفل لها النمو والازدهار»(٢)، والسريان يشير كمصطلح ديني إلى أتباع الكنيسة السورية القديمة أو السريانية، ويشير كمصطلح لغوي إلى كل الشعوب التي تتكلم اللغة السريانية الآرامية في بلاد الشام والعراق وإيران، وقد تحدثت بها الجالية اليهودية كذلك واختلطت بلغتهم العبرية، وهي كذلك شديدة القرب إلى اللغة اليونانية، وعلى كل فإن اللغة السريانية سادت في أماكن كثيرة طالتها الفتوحات الإسلامية فيما بعد(٣)، وكان لها عدة مراكز ثقافية أثرت بشكل مباشر في عملية الترجمة إلى العربية، من أهمها:

١- الإسكندرية: وهي أحد المراكز الرئيسية التي انتقت منها الثقافة اليونانية إلى الشرق، ومن علمائها: هيرون الذي ترجم قسطا بن لوقا البعلبكي كتبه إلى العربية، وبطليموس صاحب كتاب المجسطي الذي كان أول من عني بترجمته يحيى بن خالد البرمكي، وإقليدس صاحب كتاب الأصول الذي نقله من المترجمين إلى العربية: الحجاج بن يوسف بن مطر الكوفي، وإسحاق بن حنين، وثابت بن قرة، وقد استدعى خالد بن يزيد بن معاوية بعض العلماء من الإسكندرية وكلفهم ترجمة كتب الكيمياء إلى اللغة العربية.

---

(١) انظر: حركة الترجمة وأثرها الحضاري في عصر العباسيين الأول(١٣٢هـ-٢٣٢هـ)، نصر الدين جار النبي سليمان، بحث منشور في مجلة جامعة شندي-السودان، العدد الأول-يناير ٢٠٠٤- ص(٩٦-١٠٢).

(٢) السريان والحضارة الإسلامية، الشحات السيد زغلول، ص(٢).

(٣) انظر: السريانيون والعلاقات التاريخية الثقافية والدينية بينهم وبين اليونانيين، البطريرك مار اغناطيوس زكا الأول عيواص، الموقع الرسمي لبطريركية أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس.

ولقد كانت مدرسة الإسكندرية مركزًا هامًا من مراكز الفلسفة اليونانية، وملتقى الشرق والغرب، إلا أنها فقدت بعض أهميتها بعد قيام الدولة الأموية وانتقال مركز السلطان إلى الشام مما كان دافعًا لبعض الخلفاء والأمراء الأمويين إلى تشجيع انتقال مركز العلم إلى موطن حكمهم، وبقيت مدرسة الإسكندرية ماثلة حتى العصر العباسي.

٢- حرّان: وهي مدينة عظيمة شمال العراق، تقع على طريق الموصل والشام والروم[١]، وقد قامت مدرسة حران في عهد الخليفة المتوكل العباسي (٢٣٢هـ-٢٤٧هـ)، وكانت مركزًا هامًا للثقافة اليونانية، ومركزًا للتبادل والاتصال الثقافي، وظلت تقوم بعملها مدة أربعين عامًا حتى تركها علماؤها إلى بغداد في خلافة المعتضد، وكان من أبرز مترجميها الذين انتقلوا إلى بغداد آل قرة: ثابت بن قرة، وسنان بن ثابت طبيب الخليفة المقتدر، وإبراهيم بن سنان أحد علماء الهندسة، وهلال بن ثابت الطبيب، وعددًا آخر من الأساتذة الذين أثروا الحضارة الإسلامية خاصة في علوم الفلسفة والرياضيات والفلك، وتفوقوا على غيرهم بإجادتهم اللغة العربية مما جعل ترجماتهم أكثر دقة من غيرهم.

٣- جُنديسابور: وهي مدينة بخوزستان من بلاد فارس بناها سابور بن أردشير فنسبت إليه وأسكنها سبي الروم وطائفة من جنده[٢]، وقد اشتهرت هذه المدرسة في بلاد فارس اشتهار مدرسة الإسكندرية في مصر، والتقت فيها الحكمة الهندية والفارسية واليونانية التقاءً خصبًا أدى إلى هذه الشهرة، كما أنها مثلت أحد الروافد التي استقى منها المسلمون علوم اليونان، وكان لها أثر كبير في ترجمة العلوم إلى العربية، وبرز من مترجميها آل بختيشوع، وهم أسرة من العلماء والأطباء الذين كانوا أهل حظوة عند الخلفاء العباسيون لمهارتهم في الطب فتهيأت لهم بذلك الظروف لنقل التراث اليوناني للعرب.

وقد كان هناك مراكز أخرى لترجمة العلوم القديمة كمدرسة الرها ونصيبين، إلا أن مدارس الإسكندرية وحران وجنديسابور كانت الأهم والأكثر تأثيرًا في حركة الترجمة إلى العربية، ومنها وفد أبرز المترجمين إلى بغداد حيث مركز الترجمة[٣].

---

(١) معجم البلدان، ياقوت الحموي، (٢/٢٣٥).

(٢) المصدر السابق، (٢/١٧٠).

(٣) السريان والحضارة الإسلامية، (٣٩-٨٦).

- المسألة الثالثة: آثار الترجمة إلى العربية

كان لحركة الترجمة إلى العربية آثارها الكبيرة على الدولة الإسلامية، وقد تنوعت هذه الآثار بطبيعة الحال بين إيجابية وسلبية، تزيد وتنقص بحسب الجانب الذي أثرت فيه.

إلا أنه لا بد من تنبيه هام قبل عرض أثر الترجمة إلى العربية، وهو أن الترجمة كانت انطلاقة فقط لما أورثته من نتائج، ذلك أن المسلمين لم يلتزموا فقط بما تُرجم إلى العربية بل أبدعوا في التعامل معه، شرحًا وتفسيرًا وتنقيحًا وزيادة وإضافة، فلا يمكن حينئذٍ نسب الآثار إلى حركة الترجمة مفردة دون التنبيه على الدور المهم للمسلمين في التعامل مع هذه الترجمات.

ومن أهم الآثار الإيجابية للترجمة إلى العربية:

١- تنشيط الحركة الفكرية وابتكار طرق عقلية ومنطقية لم تكن معروفة عند المسلمين خاصة فيما يتعلق بالجدال والردود والرد على المخالفين ومحاورة غير المسلمين.

٢- التطور الكبير في مجال الرياضيات والحساب، وهو علم قد تطور فيه الهنود كثيرًا إلا أن الفضل يرجع للعرب في نهضته، فهم الذين نقلوا إلى العالم طريقة الحساب بالأرقام.

٣- ابتكار فن المساحة، وهو فن هندسي يحتاج إليه الناس في مسح الأراضي وقياسها من أجل العمارة أو الزراعة، وكذلك مسح الأماكن لتحديد المساحات واستخدامها في زخرفة المباني والمساجد بأشكال هندسية متنوعة.

٤- إنشاء المراصد الفلكية لدراسة علوم الفلك دراسة علميةً عمليةً، ومنها المرصد الذي أمر الخليفة المأمون بإنشائه في بغداد، مما أدى إلى اكتشافات مبهرة للمسلمين في هذا المجال، كقياس محيط الكرة الأرضية والتعرف على كواكب ومجموعات نجمية، ودراسة منازل القمر وحركته دراسة لم يسبق لها مثيل، وابتكار آلات متعددة تعين على دراسة الفلك ولا زال بعضها يُعرف باسمه العربي في اللغات الأجنبية.

٥- تطوير علم الجغرافيا بوصف طبيعة الأراضي المختلفة ورسم الخرائط حتى إن محمد بن موسى الخوارزمي رسم للمأمون صورة للأرض سُميت بالخريطة المأمونية وفاقت في دقتها خرائط بطلميوس، وقد أضاف المسلون للخرائط طابعًا مميزاً يُظهر تضاريس الأرض بألوان تشبه ألوانها الحقيقية ففاقوا بذلك من سبقهم في هذا العلم.

٦- ازدهار علم الطب عند المسلمين ازدهارًا لم يسبق له مثيل، وذلك بفضل رعاية الخلفاء لهذا العلم واعتنائهم بالأطباء ومترجمي كتب الطب، مما نتج عنه اكتشاف أطباء المسلمين لأمراض

لم يكن للقدماء علم بها، بالإضافة إلى تأسيس المدارس الطبية وإنشاء المستشفيات.

إلى غير ذلك من المجالات التي انتفع بها المسلمون من غيرهم في الحضارات السابقة، وزادوا عليها الكثير من الجهود والابتكارات حتى فاقوا في ذلك من قبلهم(١).

ولما كان كل جهد بشري يعتريه النقص والعيب فكذلك الترجمة إلى العربية؛ فإنها رغم ما تقدم من آثارها الإيجابية فقد كان لها أثر سلبي يتركز في تأثيرها على عقيدة المجتمع المسلم آنذاك.

لقد أدخلت الترجمة إلى العربية إلى الساحة العقدية أفكارًا جديدة لم يكن لها وجود عند المسلمين، وهذه الأفكار كانت نتاجًا لاجتهاد بشري محض لم يستضئ بنور الوحي، بل اختلط في كثير من الأحيان بوثنيات وفلسفات باطلة.

ولئن كان كثير من علماء المسلمين حاولوا بصدق وإخلاص تنقية المحتوى المترجَم من هذه الانحرافات، والاستفادة فقط مما هو إيجابي فيه ولا يتنافى مع الدين الإسلامي، إلا أن تلك الجهود لم تنجح كلية وكان لها أثرين سلبيين واضحين هما:

١- التأثير في المذاهب الكلامية المتواجدة في الساحة الإسلامية، تأثيرًا صبغها في بعض الأحيان بالصبغة الفلسفية بشكل واضح، ومنها المذهب الأشعري – خاصة عند المتأخرين- الذي جاء في دائرة المعارف الإسلامية عن علاقته بالفلسفة والفلاسفة: « ولكن منطقهم الأرسطي وكثيرًا من آرائهم الأفلاطونية الجديدة فيما وراء الطبيعة قد اندمجت منذ ذلك الوقت في تعاليم الأشعرية، ولم تلبث تلك التعاليم أن صبغت بالصبغة العقلية على محمل سيء، بل إن بعض الآراء –التي يشك في سنيتها- قد أخذت وشغلت المقدمة الفلسفية فراغًا أكبر وعناية أثر من النظريات الكلامية الصرف،... وختامًا يجوز لنا أن نقول إن المذهب قد اختفى في وهج من الفلسفة»(٢)، ورغم الاختلاف الدائر في مقدار تأثير الفلسفة في علم الكلام، إلا أن هذا التأثير موجود لا محالة.

٢- ظهور حركة الزندقة، «التي يمكن أن تعد أثرًا من آثار ظاهرة النقل والترجمة، إذ لم تقتصر هذه الظاهرة على نقل التراث العلمي فحسب، ولكن كان للزندقة والأفكار الدخيلة نصيبٌ في النقل، مما كان له الأثر على المجتمع المسلم في عقيدته، وإن لم تكن ظاهرة النقل والترجمة هي السبب المباشر لظهور الزندقة، فاختلاط الثقافات له أثر أيضًا، والنقل والترجمة عامل من عوامل هذا الاختلاط»(٣).

---

(١) انظر: حركة الترجمة وأثرها الحضاري في عصر العباسيين الأول(١٣٢هـ-٢٣٢هـ)، ص(٩٦-١٠٢).

(٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية، مجموعة مؤلفين، (٣/٨٠٣-٨٠٤).

(٣) النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، ص(١٢٥).

- المطلب الثالث: الترجمة من العربية

ويتضمن المسائل الآتية:

- المسألة الأولى: بداية حركة الترجمة من العربية والموضوعات التي تضمنتها.

توجد الكثير من العوامل التي أدت إلى بداية حركة الترجمة من العربية إلى اللغات الأوروبية كاللاتينية والإسبانية وغيرها، وكان من أبرز هذه العوامل:

١- التفاوت المعرفي والعلمي والحضاري الكبير بين الدولة الإسلامية وأوروبا، ففي الوقت الذي كانت أوروبا ترزح فيه تحت سطوة الكنيسة وجبروت رجال الدين المعادين لأي تطور علمي والقامعين كل توجه حضاري، كانت الدولة الإسلامية تعيش جوًا من التسامح والانفتاح العلمي والثقافي أدى إلى نهضة المجتمع وازدهار العلوم والآداب(١).

٢- الاحتكاك بين الأوروبيين والمسلمين، وقد تم ذلك من عدة جهات:

أولًا: الحروب الصليبية: لقد شكلت الحروب الصليبية التي بدأت في القرن الحادي عشر واستمرت حتى القرن الثالث عشر عاملًا مهمًا لانتقال العلوم إلى أوروبا، وبدء حركة الترجمة من العربية؛ وذلك لما نتج عن هذه الحملات من اهتمام الصليبيين بالعلوم، بالإضافة إلى الدراسات الشرقية التي بدأت مع البعثات النصرانية إلى الشرق حيث لم تخل الحملات الصليبية من بعض العلماء الذين تأثروا بالعلم والأدب العربيين، فنقلوا وترجموا العديد من المؤلفات إلى اللاتينية أمثال: الإنجليزي أديلار دي باث، وستيفان الأنطاكي(٢).

ثانيًا: التواجد الإسلامي في أوروبا: كان تأثير الإسلام الثقافي والحضاري في أوروبا غالبًا تبعًا للفتوحات الإسلامية فيها، فقد أورث هذا التقارب تداخلًا في اللغات قاد إلى حركة ترجمة من العربية، باعتبارها تمثل لغة الحضارة والعلم في ذلك الوقت.

وقد تركز هذا التأثير في بلاد الأندلس، وصقلية الشرقية، والقسطنطينية(٣).

وكان للمستعربين من أهل الذمة (اليهود والنصارى) دورٌ كبير وبارز في أعمال الترجمة من العربية وذلك لعدة أسباب منها: اتقانهم اللغتين العربية واللاتينية، واختلاطهم بالمسلمين في أغلب مناطق ومدن الأندلس، وحرية تنقلهم بين الدولة الإسلامية وأوروبا، مما أكسبهم ثقافة

(١) انظر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز، نقله إلى العربية: محمد عبدالهادي أبوريده، (٧٥/١).

(٢) انظر: انتقال العلوم العربية إلى الغرب اللاتيني-قسطنطين الإفريقي مثالًا للنقل الطبي-، عبدالرحمن تليلي، ص(٨٤).

(٣) انظر: معجم الفردوس، مهند عبدالرزاق الفلوجي، (١٩٢/١-١٩٣).

متنوعة استطاعوا من خلالها إيصال التراث الإسلامي إلى أوروبا(١).

ثالثًا: العلاقات التجارية والدبلوماسية: حيث لم تمنع حالة الحرب المعلنة بين الأوروبيين والمسلمين من وجود اتصالات سلمية بينهم سواء على مستوى الشعوب أو القادة، كالعلاقات التجارية القائمة بين الجهتين، والعلاقات بين الأمراء، حيث لم تكن قصور الأوروبيين تخلو من العرب، مما كان سببًا للتفاعل بين الفريقين ووسيلة لنقل عادات المسلمين وآدابهم إلى أوروبا(٢).

٣- عهد ألفونسو العاشر: تولى الملك ألفونسو العاشر حكم قشتالة وليون من بلاد الأندلس، ولقب بألفونسو الحكيم والعالم، وقد كان مولعًا بالعلوم، وله دور كبير في انفتاح أوروبا على الفكر العربي والحضارة الإسلامية، حيث يعتبر عصره هو عصر نهضة الترجمة من العربية، ورغم العداء السياسي الذي كان يكنه للمسلمين إلا أن الاهتمام بالعلوم العربية والإسلامية بلغ الذروة في عصره، فأنشأ مدرسة للترجمة وعهد إلى المترجمين نقل أمهات الكتب من العربية إلى اللغة الإسبانية القشتالية بعد أن كانت تنقل إلى اللغة اللاتينية، كما استجلب إلى قصره عددًا من العلماء والمترجمين المسلمين واليهود للعمل تحت إمرته وإشرافه المباشر في ترجمة أعمال علمية وأدبية كبرى(٣).

وقد تنوعت العلوم المترجمة من العربية والتي أسهمت بشكل كبير في نهضة الحضارة الأوروبية، وكان من أهم هذه العلوم:

١-علم الأديان: وذلك من خلال ترجمة القرآن الكريم، وقصة المعراج، وعدد من الكتب الدينية، التي تعرف بها الأوروبيون على علم لم يكن معروفًا عندهم، وعلى الرغم من أن ترجمة القرآن الكريم كانت تهدف إلى نقضه وهدم عقائده إلا أن المنصفين من الغربيين يشهدون بأسبقية المسلمين في هذا باب دراسة الأديان حتى إنه أصبح من المقرر عندهم أن الأبوة الشرعية لعلم مقارنة الأديان ترجع للمسلمين مع خلاف حول أول المفكرين المسلمين تأليفًا في هذا الباب(٤).

٢- علم الفلسفة: يمكن اعتبار الترجمات العربية للفلسفات اليونانية الوعاء الذي حفظ هذه الفلسفات في الوقت الذي تم اهمالها وازدرائها بل ومحاربتها في العالم الغربي، ولذلك «تدين

(١) انظر: حركة الترجمة في الأندلس وتأثيرها على أوروبا، رغد جمال العزاوي، ص(١).

(٢) انظر: أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوروبي خلال الحروب الصليبية، عبدالله بن عبدالرحمن الربيعي، ص(٤٢-٤٣).

(٣) انظر: ألفونسو العاشر الحكيم أول المستعربين الإسبان، نجيب محمد الجباري، مقال منشور في المجلة العربية، ٢٠١١م

(٤) انظر: مقارنة الأديان عند المسلمين، ياسر منير، مقال منشور في موقع طريق الإسلام، ص(٤).

أوروبا –الثقافة التي بنيت في العصور الوسطى- كثيرًا للإسلام والعالم الإسلامي، لأن الغرب استورد منه عددًا من النماذج الفكرية الأساسية،...لأن الفكر الإسلامي قد تأثر هو أيضًا بالفكر اليوناني،...أما فلاسفته فقد غذّوا الغرب اللاتيني، وأطلعوه بصورة خاصة على نتاج أرسطو، واعتُبر مفكرو القرون الوسطى الكبار من المسلمين كالفارابي (٨٧٢-٩٥٠م)، وابن سينا (٩٨٠-١٠٣٧م)، وابن رشد (١١٢٦-١١٩٨م) بصورة خاصة كمرشدين للعالم المسيحي»[١].

٣- علم الطب: كان لترجمة كتب الطب من العربية أثر كبير على تطور علم الطب في أوروبا، بل إن كتاب (القانون في الطب) لابن سينا أصبح عمدة الطب وأساس تقسيمه في الغرب وظل النص المعتمد عليه في كليات الطب الأوروبية طيلة خمسمائة عام.

٤- علم الرياضيات: إن أوروبا تدين بنهضتها في هذا العلم للعالم المسلم الخوارزمي مبتكر علم الجبر، وغيره من العلماء المسلمين الذين ابتكروا نظام الأرقام العربية وطوروا الأرقام الهندية وابتكروا مفهوم الصفر مما أدى إلى حل الكثير من الإشكالات الرياضية.

٥- علوم الفلك والطبيعيات: فقد ترجمت كتب ابن الهيثم وكتب الفلك والكيمياء، واستُخدم علم منازل القمر للتقويم، ونُشرت تركيبات الأدوية والمواد التي ابتكرها المسلمون وقامت عليها معظم الصناعات فيما بعد[٢].

وبالجملة فقد كانت الترجمة من العربية أحد أهم عوامل النهضة الأوروبية بل إن القول بأنها أساس لتلك النهضة لا يُعد قولًا مبالغًا فيه، لأنه «في اللحظة التي قامت فيها العلاقات واستؤنفت بين الشرق والغرب أخذت تنتعش أوروبا التي لم تكد تنهل من ينابيع العلوم العربية ومن فنون العرب وعلومهم ووسائل العناية الصحية والإدارية حتى استيقظ الوعي الأوروبي بعد أن ظل جامدًا قرونًا عديدة، وأخذت أوروبا تنهض وترتقي نهضة غير منتظرة سواء في دروب الحياة أو الفنون وغيرها، وانتعشت انتعاشًا جميلًا»[٣].

- المسألة الثانية: أهم مراكز الترجمة وأبرز المترجمين

كان لانتقال العلوم الإسلامية إلى الغرب عدة مداخل، من أهمها:

---

(١) مغامرة الفكر الأوروبي –قصة الأفكار الغربية-، جاكلين روس، ترجمة: أمل ديبو، ص (٧٧-٧٨).

(٢) انظر: حركة الترجمة في الحضارة الإسلامية، عبدالحليم عويس، مقال منشور في شبكة الألوكة، ص(٢-٣).

(٣) شمس الله تشرق على الغرب (فضل العرب على أوروبا)، سيجريد هونكه، ترجمة: فؤاد حسنين علي، ص (٤٥٣).

١- صقلية: وهي أكبر جزر البحر الأبيض المتوسط، افتتحها القاضي أسد بن الفرات سنة (٢١٢هـ)، «وبقيت بأيدي المسلمين مدّة وصار أكثر أهلها مسلمين وبنوا بها الجوامع والمساجد ثمّ ظهر عليها الكفار فملكوها فهي اليوم في أيديهم»[(١)]، وتعد المعبر المهم للعلوم الإسلامية في اتجاه الغرب المسيحي مرورًا بجنوب إيطاليا، ونشأت بها مدرسة (ساليرنو) للترجمة، والتي تولت مهمة نقل المعارف الطبية الإسلامية إلى أوروبا، فترجم بها: (قسطنطين الإفريقي) كتاب: الصناعة الطبية أو الملكي، لعلي بن عباس الأهوازي، وكتاب زاد المسافر وقوت الحاضر، للطبيب ابن الجزار القيرواني، وكتاب الأغذية، والمختصر في علم الحميات، لأبي يعقوب إسحاق بن سليمان العبري، وغيرها من الكتب.

٢- طليطلة: وهي مدينة كبيرة في بلاد الأندلس، كانت قاعدة ملوك القرطبيين وموضع قرارهم[(٢)]، ثم صارت إلى الإفرنج وأصبحت مركزًا إسبانيًا للترجمة من العربية إلى اللاتينية، ومن أشهر مترجميها: (يوحنّا الإشبيلي)، (ودمنجو جنديسلفي)، وكان لهذين المترجميْن عناية بنقل الكتب العربية في الرياضيات والفلك والتنجيم والفلسفة، ومنهم أيضًا: (جيرارد الكريموني) الذي ترجم: كتاب التصريف لأبي القاسم الزهراوي، وكتاب القانون لابن سينا، والكتاب المنصوري للرازي، وتواصل هذا النشاط حتى عصر ألفونسو الحكيم.

٣- جنوب فرنسا: انتقلت العلوم العربية والإسلامية عبر الحدود الإسبانية إلى لانغيدوك في جنوب فرنسا، وأنشئت مدرسة شارتر التي كانت النواة الأولى للجامعات بفرنسا ولها فضل السبق على جامعة باريس، وكذلك مدرسة مونبلييه التي حظي فيها كبار الأطباء المسلمين بالدراسة سواء عن طريق الترجمة أو الشروحات أو التعليقات التي اقتبست عنهم.

وقد ظلت الترجمات والشروحات للمؤلفات العلمية الإسلامية مستمرة في أوروبا فترة طويلة بما يؤكد أثرها الكبير في تشكيل الحضارة الأوروبية[(٣)].

- المسألة الثالثة: آثار الترجمة من العربية

تقدم فيما سبق الإشارة إلى أن المسلمين كانوا الباعث الأصلي للنهضة الأوروبية، فقد «ظهرت هذه النهضة العلمية بغتة، وذلك بمجرد انقضاء القرن الأول الإسلامي، قرن الفتوحات

(١) معجم البلدان، (٤١٧/٣).

(٢) المصدر السابق، (٣٩/٤).

(٣) انظر: انتقال العلوم العربية إلى الغرب اللاتيني-قسطنطين الإفريقي مثالًا للنقل الطبي-، ص(٨٣-٨٤).

وانتشار الدين الإسلامي وكتاب الله –القرآن الكريم-، ففي تلك اللحظة انبثقت العلوم والمعارف، وتفتحت البراعم بعد جفاف فصل الشتاء، وظهرت العلوم العربية، وبعد فترة من الزمن عمت العالم وأصبحت ثقافة عالمية»(١).

ويمكن القول إن احتكاك أوروبا بالدولة الإسلامية عبر مداخله الكثيرة التي كان من أبرزها الترجمة من العربية قد غيّر وجه أوروبا للأبد، وكان له آثاره الحسنة في جميع المجالات، ومنها:

أولًا: المجال الديني: «لقد أدى شيوع التأثيرات الإسلامية سواء عن طريق العائدين من الشرق أو عن طريق الكتب المؤلفة عن المسلمين، أدى إلى معرفة الأوروبيين لمفهوم الإسلام وواقع المسلمين، فعرفوا أن الإسلام دين يدعو إلى عبادة الله وحده وإلى تحرير الشعوب من عبودية الإنسان، سواء كان امبراطورًا أو بابا، فلا واسطة بين الله وعبده، وبدأ الناس يشعرون بضرورة تحسين الأوضاع في أوروبا ويترقبون ظهور مصلحين يضعون أسسا حضارية جديدة تنبى عليها النهضة الأوروبية»(٢).

ثانيًا: المجال الفلسفي: لقد حفظ المسلمون لأوروبا معارفها اليونانية بعد أن فقدت مصادرها الأصلية، كما أنهم بعد نقلها إلى العربية سعوا في شرحها وتبسيطها وتقريبها لملاءمة الحياة الواقعية، فحصلت أوروبا بذلك على ثروة فلسفية هائلة بل إنه «يمكننا القول أن وقوف الغرب لأول مرة على مؤلفات أرسطو كاملة يرجع في الحقيقة إلى مشروع جماعي ضخم للترجمة كانت طليطلة هي مركزه،...ولم تترجم مؤلفات اليونان وحدها بل ترجمت أيضًا مؤلفات المفكرين العرب الذين شرحوا العلم اليوناني وساروا به خطوات كبيرة إلى الأمام»(٣).

ثالثًا: المجال اللغوي والأدبي: كان لاحتكاك الأوروبيين بالمسلمين وتعرفهم على اللغة العربية أثره الكبير على أساليب اللغة الأوروبية، ويظهر هذا الأثر من عدة وجوه:

١- دخول بعض الكلمات العربية إلى اللغات الأوروبية، وقد رصد هذه الظاهرة العديد من المعجميين الأوروبيين والعرب.

٢- التأثير الشعري: من جهة اللغة وتوحيد القافية، ومن الأغراض الشعرية كالدعوة إلى محاسن الأخلاق، وإظهار الصورة الحسنة للمرأة بعيدًا عن الابتذال، وغيرها.

---

(١) شمس الله تشرق على الغرب (فضل العرب على أوروبا)، ص(٢٧٦).

(٢) أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوروبي خلال الحروب الصليبية، ص(١٤٨).

(٣) أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، زينب محمود الخضيري، ص(٤٢).

٣- التأثير الأدبي: من خلال القصة وأغراضها وأساليبها[١].

رابعًا: المجال الطبي: ويظهر أثر الترجمة من العربية واضحًا في المجالات الآتية:

١- تشخيص الأمراض ووصف أعراضها ومراحلها.

٢- تحديد الدواء المناسب لكل مرض مع نشر تراكيب الأدوية.

٣- ابتكار طرق جديدة للتمريض والتعقيم والتعامل مع الأوبئة.

٤- الاهتمام بالصحة العامة والتشجيع على النظافة والاستحمام.

٥- بناء المستشفيات ودور الرعاية مع الالتزام فيها بقوانين وأنظمة محددة.

خامسًا: المجال الكيميائي: لقد كان للمسلمين الفضل في ابتكار العديد من المواد الكيميائية، واستبدال الطرق القديمة التي كان يستخدمها الإغريق بطرق أخرى أكثر سلامة وأقل ضررًا.

سادسًا: مجال الفلك والرياضيات: كان للترجمة من العربية أثرها الكبير في هذه العلوم، فلا زالت بعض النجوم والآلات الفلكية تحتفظ بأسمائها العربية، وكان للمؤلفات العربية في هذا المجال أعظم الأثر في تطوير علم الفلك وتوسيع آفاقه عند الغربيين، أما في الرياضيات فقد تقدم الكلام عن دور علماء المسلمين في النهضة العلمية لأوروبا، فالخوارزمي وابن الهيثم وغيرهما.

سابعًا: مجال الزراعة: لقد كان لخبرة المسلمين في زراعة المحاصيل ورعايتها الأثر الكبير في تعليم الأوروبيين التقنيات الأفضل للري، كما إنهم أدخلوا صناعة الورق لأوروبا، وغيرها من الصناعات المتعلقة بالزراعة[٢].

وبالجملة فإن الآثار الإيجابية للترجمة من العربية على أوروبا قد طالت أغلب جوانب الحياة الغربية وكانت سببًا هامًا في انتقال أوروبا من ظلمات الجهل إلى نور العلم والمعرفة.

ولكن كما تقدم: فإن كل جهد بشري لا بد وأن يعتريه النقص، والترجمة من العربية كغيرها من الجهود البشرية اعتراها الخطأ في بعض مراحلها، ومن أبرز الآثار السلبية التي رافقت حركة الترجمة من العربية ما صاحبها من عمليات استيلاء كبرى على التراث العربي والإسلامي ونقله إلى أوروبا وحبسه في الأديرة والقصور، وقد سبقت هذه المرحلة بمرحلة خطيرة تم فيها إتلاف الكثير من التراث العربي والإسلامي وبخاصة أثناء الحروب الصليبية، إلا أن الأوروبيين انتبهوا إلى جسامة ما فعلوه تجاه التراث والحضارة الإنسانية عمومًا، فاستبدلوا ذلك بنقل التراث العربي والإسلامي، ومن أبشع الأمثلة على ذلك سرقة خزانة الأمير زيدان السعدي سلطان مراكش سنة (١٦٠٩م) على يد

(١) انظر: أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوروبي خلال الحروب الصليبية، ص(٥٠-٦٦).

(٢) انظر: معجم الفردوس، ص(١٩٥).

أحد قواد الملك فيليب الثالث -وتعد هذه السرقة امتدادًا لسرقات كثيرة تمت قبلها- سُرق فيها ما يُقارب (٣٩٨٠) مخطوطة عربية حُملت على ثلاث سفن عبر البحر الأبيض المتوسط واحتفظت بها إسبانيا قسرًا وفشلت جميع محاولات المغرب في استعادتها.

وقد حاول الكثيرون تبرير هذه السرقات بأنها حفظت التراث العربي والإسلامي في فترة ضعف الخلافة وتوتر الأوضاع وعدم استقرار الدولة الإسلامية، إلا أن هذا التبرير لا يبرئ الساحة الغربية ولا يرفع عن فعلتهم مسمى الاستيلاء بغير وجه حق(١).

ومن أشكال السرقة التي حصلت للتراث العربي والإسلامي ما حصل من انتحال بعض المترجمين للكتب المترجمَة، حيث كان المترجم ينسب الكتاب لنفسه وقد يغير من العنوان، ويلخص النص ويحذف بعض المراجع لإخفاء انتحاله(٢).

- المطلب الرابع: أبرز أوجه التشابه والاختلاف بين الترجمتين

ويتضمن مسألتين:

- المسألة الأولى: أبرز أوجه التشابه بين الترجمتين

يمكن تلخيص أبرز أوجه التشابه بين الترجمتين –إلى العربية، ومن العربية- في الأمور الآتية:

١- كان للترجمتين أثر كبير في بداية حركة علمية وفكرية نشطة، قادت إلى نتائج مبهرة أدت بمجملها إلى تطور الحضارة ونفع البشرية.

٢- أدت الترجمتان إلى تعرف كل من العرب والأوروبيين على حضارات مختلفة لم يكن لهم معرفة بها، فأفادوا منها معارف متنوعة، واكتسبوا منها خبرات نافعة.

٣- كان لاهتمام الخلفاء والملوك أثر بارز في نمو حركة الترجمة، وقد تقدم الحديث عن دور العباسيين، والملك ألفونسو الحكيم في ازدهار الترجمة إلى العربية ومن العربية.

٤- أثارت الترجمتان جدلًا دينيًا وفكريًا، ففي الأوساط المسلمة كان للترجمة إلى العربية أثرها في ظهور نمط فكري جدلي أدى إلى بعض التصادم مع العقائد الإسلامية، وفي الأوساط الغربية أدت الترجمة من العربية إلى صدام مع الكنيسة التي كانت ترفض الاختراعات العلمية وتحارب حرية الفكر.

(١) انظر: دور الرحالة والمستشرقين والدبلوماسيين في سرقة المخطوطات من الوطن العربي، ظمياء عباس، ص(١-٤).

(٢) انظر: انتقال العلوم العربية إلى الغرب اللاتيني-قسطنطين الإفريقي مثالًا للنقل الطبي-، ص(٩٤-٩٩).

٦- مرت كلا الترجمتين بفترات ازدهار وخمول بحسب العصر الذي حدثت فيه، وهذا هو شأن كل نشاط بشري فإنه لا يسير على نفس النمط من النشاط بشكل دائم.

- المسألة الثانية: أبرز أوجه الاختلاف بين الترجمتين

من أبرز أوجه الاختلاف بين الترجمتين –إلى العربية، ومن العربية- الأمور الآتية:

١- الوسط الديني الذي انطلقت منه: فقد انطلقت الترجمة إلى العربية من وسط ديني يشجع على العلم والتعلم، ويدعو إلى التفكر والتدبر.

وبخلاف بعض الترجمات الفلسفية والفكرية التي واجهت شيئًا من الاعتراضات لما احتوته من مخالفات للدين الإسلامي، إلا أن غالب الترجمات الطبية والعلمية قوبلت بترحيب وتشجيع.

أما الترجمة من العربية فقد انطلقت من وسط ديني متعصب يحارب كل فكرة علمية ويلبسها قالب الكفر والشعوذة، ولذلك في حوربت الترجمة من العربية في أماكن كثيرة من أوروبا.

٢- أساس التعامل مع الترجمة: كان المسلمون في تعاملهم مع الترجمة إلى العربية يعتمدون منهجًا دينيًا وعقليًا للحكم على الترجمات، مع التأكيد على أن النص الديني الصحيح عندهم لا يمكن أن يتعارض مع الحكم العقلي الصريح، ولذلك كانوا ينقدون الكتب المترجمة إلى العربية ويوضحون ما فيها من الخطأ والصواب، وينقحونها ويبينون أوجه المخالفة فيها في أسلوب علمي رصين وطريقة واضحة لم يتيسر مثلها للأوروبيين الذين كانت الكنيسة عندهم في ذلك الوقت تحارب العلوم وتهاجم العلماء، والعقل عندهم يدعو إلى حرية التفكير وانطلاقة العقل فعاشوا بذلك صراعًا حضاريًا وفكريًا كبيرًا.

٣- الإرث الذي بدأت منه الترجمة: كانت الكتب الإغريقية التي بدأت منها الترجمة إلى العربية تراثًا مهملًا لم يحظ بالعناية والرعاية، على عكس الكتب التي بدأت منها الترجمة من العربية فقد كانت تعيش ازدهارًا وتحظى بعماية فائقة في الأوساط العلمية الإسلامية.

٤- الإنصاف والأمانة العلمية: لم تتعرض الترجمات إلى العربية في الغالب إلى ما تعرضت له الترجمات من العربية من أنواع التشويه والانتحال والاختصار المخل بالمعنى، ولعل العداوة الناشئة من الحروب الصليبية كان لها أثر في ذلك التشويه.

وعلى كل حال، فإن ما تقدم هو حكم على غالب ما كان من الترجمة إلى العربية ومن العربية، ولا شك أن هناك حالات عديدة لم تتلبس بهذه الأمور.

هذا والله تعالى أعلم.

الخاتمة

الحمد لله على ما يسَّر لي وأعان في كتابة هذا البحث الذي تناول مسألة هامة أثرت بشكل مباشر في نشأة علم الفلسفة الإسلامية وتطورها، وهي مسألة الترجمة إلى العربية ومن العربية.

وكان من أبرز نتائجه:

١- أهمية علم الترجمة كطريق للتبادل المعرفي والحضاري بين الأمم.

٢- الأصل في حكم الترجمة هو الحل والإباحة، ثم قد يتغير هذا الحكم بحسب الغرض المراد منها.

٣- تعددت العوامل التي دعت لبداية الترجمة إلى العربية وكان من أهمها: طبيعة الدين الإسلامي الداعية إلى العلم والمعرفة، وتوسع الدولة الإسلامية مما نتج منه الاختلاط المعرفي والثقافي بالأمم المجاورة.

٤- مرت حركة الترجمة إلى العربية بمراحل زمنية متعددة كان العصر العباسي منها هو الأكثر ازدهارًا ونشاطًا، وتنوعت فيها العلوم المترجمة لتشمل جوانب متعددة من الحياة.

٥- كان من أبرز مراكز ترجمة العلوم اللاتينية: الإسكندرية، وحران، وجنديسابور، وقد ساهم المترجمون منها في إثراء بيت الحكمة التي أنشأها الخليفة المأمون ببغداد بالترجمات المتنوعة.

٦- كان للترجمة إلى العربية آثار إيجابية كثيرة، حيث ساهمت في نهضة العلوم وتطورها، كما كان لها آثار سلبية برزت في تأثيرها على الجانب العقدي المسلم بما أدخلته من فلسفات يونانية مخالفة للوحي الإلهي.

٧- أسهمت الترجمة من العربية في نهضة أوروبا ونقلها من ظلمات الجهل إلى نور العلم والمعرفة، وقد شملت الترجمات من العربية غالب مجالات الحياة وكان لها آثارها الإيجابية على تطور الحياة ونهضتها في أوروبا.

٨- انتقلت العلوم من بلاد المسلمين إلى أوروبا من عدة مداخل كان من أهمها: التواجد الإسلامي في أوروبا وبالتحديد في القسطنطينية وبلاد الأندلس وصقلية، وكذلك الحروب الصليبية، بالإضافة إلى التبادل التجاري والثقافي بين أوروبا والمسلمين.

٩- كانت أبرز مراكز الترجمة من العربة في أوروبا هي: صقلية، وطليطلة، وجنوب فرنسا.

١٠- هناك العديد من أوجه التشابه والاختلاف بين الترجمتين: إلى العربية ومن العربية، فمن

أهم أوجه التشابه: الدور الذي لعبته الترجمتان في تنشيط الحياة العلمية والمعرفية، ومن أهم أوجه الاختلاف: الوسط الديني المتسامح الذي كان يدعم الترجمة النافعة عند المسلمين، والوسط المتعصب الذي كان يرفض العلوم ويهاجم العلماء عند الأوروبيين.

ومن أبرز التوصيات التي أوصي بها في ختام البحث:

١- تشجيع النشء على العلم والتعلم، والحث على اقتناص المعرفة النافعة أيًا كان مصدرها، فالحكمة ضالة المؤمن، حيثما وجدها فهو أحق بها.

٢- أهمية تعلم اللغات الأخرى لأغراض صالحة، كحفظ الدين ونشره والدفا ع عنه، ونشر العلم والمعرفة في أوساط المسلمين.

٣- ضرورة ربط أبناء المسلمين اليوم بماضيهم المشرق، واطلاعهم على دورهم العظيم في نهضة الغرب وتطوره.

٤- تعريف المسلمين بعلمائهم الذين أثروا الحضارة وخدموا البشرية.

وختامًا، فهذا جهد المقل، فإن أحسنت فمن اللّه تعالى وحده، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان وأستغفر اللّه على ذلك، وصلى اللّه وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المراجع

١. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: مجموعة من المحققين، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة.

٢. أوستينوف، ميخائيل، الترجمة، ترجمة: معهد الملك عبدالله للترجمة والتعريب، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الرابعة، ١٤٣٥هـ.

٣. بت، فردوس نظير، خصائص اللغة العربية ومميزاتها، مقال منشور في مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند، العدد ١٢، السنة ٣٧، ذو الحجة ١٤٣٤هـ-نوفمبر ٢٠١٣م.

٤. البغا، مصطفى ديب و محيي الدين مستو، الواضح في علوم القرآن، دمشق: دار الكلم الطيب، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٥. الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الكبير، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

٦. تليلي، عبدالرحمن، انتقال العلوم العربية إلى الغرب اللاتيني-قسطنطين الإفريقي مثالًا للنقل الطبي-، بحثٌ محكم، مؤتمر: أيام في الترجمة، تونس: المركز الوطني للترجمة.

٧. الجباري، نجيب محمد، ألفونسو العاشر الحكيم أول المستعربين الإسبان، مقال منشور في المجلة العربية على الشبكة العنكبوتية، ٢٠١١م.

٨. حلمي، مصطفى، الإسلام والمذاهب الفلسفية المعاصرة، الإسكندرية: دار الدعوة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٩. الحموي، ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، بيروت: دار صادر، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

١٠. الخضيري، زينب محمود، أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٣م.

١١. الربيعي، عبدالله بن عبدالرحمن، أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوروبي خلال الحروب الصليبية، الرياض، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

١٢. روس، جاكلين، مغامرة الفكر الأوروبي –قصة الأفكار الغربية-، ترجمة: أمل ديبو، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

١٣. الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت:

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م

١٤. زغلول، الشحات السيد، السريان والحضارة الإسلامية، الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م.

١٥. سليمان، نصر الدين جار النبي سليمان، حركة الترجمة وأثرها الحضاري في عصر العباسيين الأول(١٣٢هـ-٢٣٢هـ)، بحث منشور في مجلة جامعة شندي-السودان، العدد الأول-يناير ٢٠١٤م.

١٦. عباس، ظمياء محمد، دور الرحالة والمستشرقين والدبلوماسيين في سرقة المخطوطات من الوطن العربي، بحث محكم منشور في مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، العدد الأول، السنة الأولى، ٢٠٠٩م.

١٧. العزاوي، رغد جمال، حركة الترجمة في الأندلس وتأثيرها على أوروبا، بحث محكم منشور في مجلة التراث العلمي العربي، العدد الرابع،٢٠١٧هـ.

١٨. عويس، عبدالحليم، حركة الترجمة في الحضارة الإسلامية، مقال منشور في شبكة الألوكة، ١٤٣٩هـ-٢٠١٧م.

١٩. عيواص، البطريرك مار اغناطيوس زكا الأول، السريانيون والعلاقات التاريخية الثقافية والدينية بينهم وبين اليونانيين، الموقع الرسمي لبطريركية أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس.

٢٠. المباركفوري، محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٢١. متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلى العربية: محمد عبدالهادي أبوريده، بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الخامسة.

٢٢. مزروعة، محمود محمد، الفلسفة الإسلامية-عرض ونقد-، القاهرة: دار اليسر، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م.

٢٣. مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.

٢٤. منير، ياسر، مقارنة الأديان عند المسلمين، مقال منشور في موقع طريق الإسلام، ٢٠١٤م.

٢٥. النملة، علي بن إبراهيم، النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

٢٦. الهاشمي، مهند عبدالرزاق الفلوجي، معجم الفردوس، الرياض: العبيكان للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

٢٧. هوتسما، م.ت. وآخرون، موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري،

الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٢٨. هونكه، سيجريد، شمس الله تشرق على الغرب (فضل العرب على أوروبا)، ترجمة: فؤاد حسنين علي، القاهرة: دار العالم العربي، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.